الذي يتولَّد الراديوم منهُ موجود فيهِ فهل هو سبب حرارة باطن الارض . وبحث في حرارة الارض فذكر اولاً انهُ لا اتصال بين حرارة باطنها وحرارة ظاهرها بل قد زال هذا الاتصال منذ ملايين كثيرة من السنين قدَّرها لورد كلفن باكثر من الف مليون سنة لان الصخور التي بين باطن الارض وظاهرها غير موصلة للحرارة واذا وجد الراديوم في باطن الارض فحرارتهُ لا تمد مسدَّ ما يشعُّ من حرارتها سنويًّا لان هذه الحرارة لا تصل الى ظاهر الارض . وبعد ان اسهب في هذا الموضوع وذكر تجاربهُ المختلفة استنتج ان للراديوم يداً في تكوُّن جبال الارض فانهُ يكون موجوداً بكثرة في صخورها النارية ومتى تراكمت عليها المواد التي تجرفها المياه او ترسب منها صارت الحرارة المتولدة منهُ تزيد عاماً بعد عام وقرناً بعد آخر الى ان تصير كافية لرفع المواد المتراكمة فوق الصخور النارية وبذلك يعلل تكوُّن الجبال او هو مساعد لفعل التقلُّص الذي عوَّل عليهِ الجيولوجيون حتى الآن كعلَّة لتكوُّن الجبال

## اديان الامم المنحطة المدارك

اشرنا في الجزء الماضي الى انعقاد مؤتمر تاريخ الاديان في مدرسة اكسفرد الجامعة في اواسط شهر سبتمبر الماضي . وقد دُعينا الى هذا المؤتمر ولكن تعذَّر علينا تلبية الدعوة فبعث الينا احد الاصدقاء باكثر المقالات التي تليت فيهِ ومنها مقالة في اديان الامم المنحطة المدارك للدكتور هرتلند العالم الانثروبولوجي الذي كان رئيساً لقسم الانثروبولوجيا اي علم الانسان في مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٠٦ تلاها في ١٥ سبتمبر وجاء فيها على ما يقولهُ الباحثون في هذا الموضوع من حيث تولُّد الاعتقاد الديني في الانسان فابتدأ خطبتهُ بالاشارة الى اشغال الاستاذ تيلر استاذ الانثروبولوجيا في اكسفرد وما فعلهُ لتقدُّم هذا العلم ثم قال ان البحث عن اصل الاديان يتناول البحث عن علاقة السحر بالدين وقد ذهب الدكتور فريزر الى ان السحر والدين متناقضان وقال ان السحر هو محاولة التسلُّط على القوى الطبيعيَّة بوسائط عتيقة او غير عمليَّة والدين محاولة استرضاء الكائنات العليا . فالسحر سابق للدين على رأيهِ ولم يلجإ الناس الى الدين الَّا حينما رأوا السحر قاصراً عن انالتهم اغراضهم او حينما ثبت للناظرين المدققين منهم ان الوسائل السحريَّة لا تفعل في الحقيقة ما ينسبهُ البسطاء اليها من الافعال

ولا يمكن اثبات هذا القول تاريخيًّا لان السحر والدين وجدا قبل زمان التاريخ واثباتهُ

الآن من النظر الى اقوام لا دين لهم مقصور في الغالب على قبائل اواسط استراليا لكن الذين شاهدوا اولئك القبائل وكتبوا عنهم لم يبتّوا بأي لغة كلوم ولا كيف عرفوا انهم بلا دين فلا يمكن ان يبنى حكم مقرر على ما ردوه عنهم . الاّ ان مباحث العلماء عموماً تدل على علاقة السحر بالدين من قديم الزمان . ومن رأي الدكتور بريس الذي بحث في اديان اهالي المكسيك القدماء وعاداتهم ان السحر سبق الدين عندهم وان شعائرهم الدينيّة يقصد بها التأثير في معبوداتهم بقوة سحريّة فهي التي تحفظ المعبودات وتزيد قوتها . وقد كان الناس يقيمون الشعائر الدينيّة اولاً لاجل التأثير في الحوادث الطبيعيّة كانزال المطر وتسكين العواصف ودفع الآلام وما اشبه ثم لما تخيّلوا وجود الارواح في الموجودات الطبيعيّة ونشأ من ذلك الاعتقاد بوجود الالهة جعلوا يقيمون تلك الشعائر لاجل تلك الالهة والغرض منها دوام فصول السنة في نمائها وزيادة الطعام وسائر الحاجيات . ولم يتغير الاّ شيء واحد وهو ان الانسان كان اولاً يحاول الحصول على ما يريد مباشرة بواسطة الاعمال السحريّة فصار يحاول الحصول عليه بواسطة معبوداته ويقيم لها الرسوم الدينية او الاعمال السحرية ليقدّرها على انالته اياها وصار يعتقد ان الآلهة تفقد قوتها اذا لم يساعدها عابدوها وتشيخ وتضعف اذا لم يقوّوها بالسحر والضحايا ويخيم الظلام على الدنيا وينقرض منها نوع الانسان

ولا يزال الدكتور بروس يبحث في احوال اهالي المكسيك الحاليين وقد وجد عندهم كثيراً من شعائر ديانتهم الوثنيّة القديمة ولو كانوا من المتنصّرة وسيتلو علينا خلاصة ما اكتشفهُ من هذا القبيل

وقد ارتأى جمهور آخر من الباحثين وفي مقدمتهم المستر اندرو لانج ( صاحب كتاب السحر والدين ) ان الاعتقاد بوجود كائن فوق الكائنات كلها نسبيًّا نشأ منذ عهد قديم في تاريخ الانسان بمجرّد التصور او الاستنتاج العقلي ثم تلاهُ الاعتقاد بوجود الارواح . وهذا رأي آباء الكنيسة من قديم الزمان . والذين خالفوهم في ذلك ابدلوا التصور او الاستنتاج العقلي بالوحي الالهي . والمظنون ان آثار هذا الاعتقاد لا تزال موجودة في كثير من اديان الشعوب المتحطة المدارك . ويقول البعض انهم وجدوها عند كثيرين من اهالي استراليا ويقول غيرهم انهم لم يجدوها الاّ عند قبيلة واحدة من قبائل الاستراليين اما عند القبائل الاخرى فلم يجدوا الاّ الاعتقاد بوجود غول او عفريت يخدع النساء والاولاد واذا بلغ الاولاد اشدهم وصاروا رجالاً لم يعودوا يخدعون به . ولكن المرسلين الالمانيين الذين تعلّموا لغة الارنتا من لغات استراليا بعد ان اقاموا فيها زماناً طويلاً يقولون ان الارنتا

يعتقدون بوجود كائن يفوق الكائنات وقد الَّفوا اسلافهم ايضاً . والخلاف كبير بين هؤلاء المرسلين وغيرهم من الباحثين لا يمكن تعليلهُ بان كل فريق منهم عاشر اقواماً غير الاقوام الذين عاشرهم الفريق الآخر، وقد ظن الباحثون الاولون ان اهالي استراليا يعتقدون بوجود كائنات فوق الطبيعة ولكن الباحثين الذين جاؤوا بعدهم ودققوا البحث خالفوهم في ذلك اما المرسلون فيميلون الى اثبات الاعتقاد بوجود الله عند كل الامم ويصعب عليهم ان يجردوا انفسهم عن هذا الميل ليبحثوا بحثاً خالياً من الغرض ولو تمكنوا من معرفة لغة المتوحشين معرفة كافية، وغيرهم من الباحثين الخالين من الغرض قلما يتيسَّر لهم مخالطة الاقوام المتوحشين وتعلُّم لغاتهم تعلُّماً كافياً لمعرفة معتقداتهم . ولذلك لا يمكن البت في هذه المسألة حتى الآن من هذا القبيل

والقبائل الاسترالية في الجنوب الشرقي من استراليا تعتقد بوجود كائن يفوق الكائنات يسمونهُ بما ترجمتهُ « اب » وهو الذي يحمي ما عندهم من الحدود والقوانين وهو الذي وضع بعضها ولا يعرفون اصلهُ . وفي تقاليدهم انهُ كان ساكناً على الارض وفعل فيها بعض العجزات والآن مقرهُ الجو غالباً لا دائماً لانهُ يزور الارض حيناً بعد آخر

ومفاد كلمة اب عندهم اوسع من مفادها عندنا فهي تطلق عندهم على زوج الام واخوته سواء كانوا من والديه او اقاربهُ الذين يدعوهم اخوةً وكل الذين بلغوا سن الرشد معهُ وأُدخلوا معهُ في مصاف رجال القبيلة . اي ان الواحد منهم يعني بالاب كل رجل متقدم عليهِ من قبيلتهِ . وعندهم ان الاب الفائق او الكائن الذي يفوق الكائنات هو رئيس من رؤسائهم فاق غيرهُ في استعمال الاسلحة والسحر والكرم ولم يؤذِ احداً ولكنهُ يقاص بصرامة كل من يتعدَّى حدود العادات والآداب المرعية عندهم . وهم لا يصلُّون اليهِ ولكنهم يذكرون اسمهُ احياناً في حفلاتهم ويمثلونهُ بتمثال من الطين ويرقصون حولهُ . ولعلَّ ذلك اول درجة من درجات العبادة الدينية . وعندهم انهُ خالد لا يموت لانهُ ما من احد يموت عندهم الاَّ قتيلاً او مسحوراً . وهو في الجو فلا يصل اليهِ احد ليقتلهُ وسحرهُ يفوق كل سحر فلا يستطيع احد ان يغلبهُ بسحرهِ . شخص مثل هذا لا يستحق ان يسمَّى الهاً الاَّ اذا توسَّعنا في معنى الالوهية واطلقناها على كل كائن فوق البشر سواء عُبد او لم يُعبَد . وهم يعتقدون بوجود الارواح وعندهم ان ارواح الموتى تحفُّ بهِ وكما يحثُّون هم شيوخ قبيلتهم ويخافون هذه الارواح ولكنهم لا يعبدونها

وتعتقد قبيلة الكاتش من قبائل استراليا الوسطى بوجود جبَّار يقيم في الجو لهُ نساء كثيرات وهنَّ النجوم المشرقة واولاد كثيرون ومنهم قبيلة الكاتش نفسها و يقولون انهُ اوجد

نفسهُ في قديم الزمان . ولعلَّ هذا القول « انهُ اوجد نفسهُ » قالهُ واحد منهم وقد سألهُ احد البيض قائلاً من اوجد هذا الجبار فضاقت عليهِ المذاهب وقال انهُ اوجد نفسهُ

ويصعب علينا نحن الاوربيين سواء كنَّا مرسلين او باحثين او سائحين ان ندرك ما يتصورهُ الناس المنحطو المدارك لانهم لا يستطيعون ان يعبّروا لنا عن افكارهم ولا تصوُّراتهم جليَّة محدودة يسهل التعبير عنها . ويمكننا ان نقول الآن ما قالهُ احد الباحثين المدققين منذ اربعين سنة بعد ان اقام ست سنوات او سبع سنوات بين سكان جزيرة تسكوفر وهو « انهُ يجب ان نرتاب في كل الاخبار التي يقصها السيَّاح عن اديان المتوحشين لان تصوراتهم الدينيَّة لا يمكن فصلها عن الاوهام الغامضة التي تمازجها . والانسان وهو في حال السذاجة اديبٌ وعقلاً يحاول الوصول الى معتقد ما محاولة طفيفة ولكنهُ لا يصل الاَّ الى ظل من الظنون والمعتقدات يصعب علينا اكتشافهُ ويصعب عليهِ التعبير عنهُ ولا يستحق ان يسمَّى ديناً . واذا ارتقى الشعب فتحديد التصورات والتصديقات المتعلقة بما يُظن انهُ فوق طور الانسان وتنظيمها بطريقة معقولة مقبولة ليس مما يستطيعهُ المتوحشون بل هو من اعمال العقول المرتقية »

ثم قال انهُ بقي سنتين يبحث عن معتقداتهم الدينيَّة قبلما اكتشف انهم يعتقدون بقوة مسلطة او بحياة اخرى غير الحياة الدنيا لانهم يأنفون ان يتكلموا عمَّا يعتقدونهُ مخافة ان ينالهم مكروه اذا افشوا شيئاً من معتقداتهم للاجانب . واذا اخبروك شيئاً مزجوا اقوالهم بالاكاذيب اما لايهامك وتضليلك او لان صورهم الدينيَّة مشوشة لا يمكنهم التعبير عنها ولذلك لا يمكن التعويل على ما يقولونهُ لك من هذا القبيل . ثم ان ما تسمعهُ من الواحد منهم لا ينطبق على ما تسمعهُ من الآخر حتى يتعذَّر عليك ان تعرف منهم ما يعتقدهُ جمهورهم

فاذا كان ما ذكرهُ هذا الكاتب صحيحاً بنوع عام ويطلق على كل الشعوب المنحطة المدارك كما اعتقد وجب علينا ان نطرح كثيراً مما يروى عنهم من الامور المحسوبة محققة وسهل علينا ان نعرف سبب التناقض بين رواة اخبارهم . وظهر منهُ ان عقل هؤلاء الاقوام لا يدلُّ على ان الاعتقاد بوجود الله من جملة المبادىء الاولية فيهِ بل يدلُّ على ان ليهِ تصوُّرات طفيفة تجتمع وتكون منها صورة كليَّة للاله اذا ارتقت مدارك العقل

وعندي ان هذا يدعو الى قول باصل الدين وعلاقة التحريم يختلف عن القولين المشار اليهما آنفاً . وهذا القول مبنيٌّ على شعورين الواحد شعور الانسان بوجودهِ والثاني شعورهُ بان حولهُ اموراً وحوادث لا يدركها او لا يعلم سببها . فاذا رأى هذه الامور

والحوادث شعر ان وراءها قوةً تحدثها وهو يعلم ان القوة تحدث من الاشخاص فيستنتج ان تلك القوة او القوى متصلة بشخص او باشخاص ولكل شخص منها قوىً وحاجات مماثلة للقوى التي فيهِ والحاجات التي لهُ . ولا بدَّ من ان يسعى ليترضَّى اولئك الاشخاص او يجعل زمامهم في يدهِ . والقوة التي يترضى بها اولئك الاشخاص او تمكنهُ من جعل زمامهم في يدهِ هي السحر او العبادة وهما عند الاقوام المنحطة اسماء مختلفة يمكن تفسيرها بالسحر والسر والتقديس وما اشبه . وهؤلاء الاشخاص على درجات مثل الناس فالذين يحسبهم اقوى منهُ يجب عليهِ ان يترضَّاهم ويستعين بهم او يصطنع معهم والذين يحسبهم مثلهُ او دونهُ يحاول اخضاعهم لارادتهِ او ملاشاتهم . ويصل الى غرضهِ في الحالين بافعال يفعلها واقوال يقولها . والافعال والاقوال صادرة عن ارادتهِ او نواتهِ المشار اليها آنفاً وهي سحرهُ او سرهُ فاذا وجهها الى الاشخاص الخفية التي يتصوَّر انها حولهُ قصد ترضيها فهي الديانة واقوالهُ وافعالهُ دينيَّة واذا وجهها الى الاشخاص الخفية التي يقصد ضرها فهي السحر والاقوال والافعال سحريَّة ولكن ما من حدٍّ فاصل بين الديني والسحري كما لا يوجد حد فاصل بين هؤلاء الاشخاص واولئك ولذلك تمتزج الاعمال السحريَّة بالشعائر الدينيَّة

وعلى هذا القول يكون اصل الدين والسحر واحداً وما هما الاَّ وجهان لصورة واحدة والظاهر انهما لم ينفصلا قط فلم يقل الانسان بوجود الالهة لانهُ عجز عن تدبير امور الكون ولا تقدَّم زمنُ السحر زمنَ الدين في كل مكان . اما استراليا فلا اسمّ بنفي الدين من بين اهاليها الاصليين ولكن لا يسعني الاَّ التسليم بان السحر اعم وارقى عندهم من الدين . والقول بثبوت الدين لقوم او نفيهُ عنهم يتوقف على ما نفهمهُ بالدين فان من العلماء من يحسب الشعائر التي يقوم بها بعض الشعوب من قبيل السحر كلها ومنهم من يحسبها دينيَّة وقد وقع هذا الاختلاف بينهم لاختلافهم في مفهوم كلمة دين فاذا اتفقنا على معناها سهل علينا البحث عن اصل الدين وهل هو سابق للسحر او السحر سابق لهُ او نشأ كلاهما من اصل واحد

ثم انهُ مهما كانت معتقدات المتوحشين مبهمة وغير جلية ومهما كانت عقولهم عاجزة عن ادراك الصوَر المجردة فهم في امور معاشهم يسيرون سيراً لا يخامرهُ ريب يسعون في طلب الرزق ويحمون انفسهم ونساءهم واولادهم من اعتداء المعتدين عليهم ايّاً كانوا او وحوشاً فهم اهل عمل لا اهل نظر فاذا وجدوا ما يكفيهم من الطعام والمأوى وكانوا في امن من الاعداء والوحوش رأوا فيهم قوةً زائدة لا بدَّ من بذلها في عمل ما فيجرون بعض الاعمال المماثلة للرسوم الدينية قبل ان يكون لهم ديانة . والرسوم كثيرة في معاملاتهم بعضهم مع بعض كما هي

كثيرة عندنا فيستعملونها ايضاً لما يحيط بهم ولذلك تجد بعض هنود اميركا يقيمون حفلات الغناء والرقص دعوة لجواسيس البرية و يعتقدون انها تجيب دعوتهم حينئذٍ . والذين يستخرجون الخمر من عصير الاشجار في جزائر سليبس من جزائر الهند الشرقية اذا وجد احدهم شجرة تستخرج الخمر من عصيرها اظهر بهجتهُ بها اولاً وكلمها كلام المحب للمحبوب وعقد معها عقد الزيجة بورقة طويلة يربطها حول جذعها وضمها الى صدره وحسب انهُ اتخذها لهُ زوجة . ولا يفعل ذلك بالهزء والسخرية بل باعتقاد تام ان عملهُ هذا رسم واجب عليهِ لكي تجود لهُ الشجرة بعصارها ومتى حان وقت استخراج العصار منها جاءها باناء من القنا الهندي بدعياً انهُ ابن الشجرة وطلب منها ان ترضعهُ بلبنها ثم يجيبهُ عن لسانها قائلاً ارضع يا ابني حتى تشبع فان ثديي امك تملآن . ويوصل بها اولاً اناء صغيراً لكي لا تخاف اذا علق اناء كبيراً ومتى اطمأن بالما علَّق اناء كبيراً وهو يتوسل اليها ويتودد

والظاهر ان الناس تدرَّجوا من رسوم مثل هذه يقدمونها الى الاشجار الى رسوم يقدمونها الى الالات والادوات ثم الى ارواح الموتى ثم الى الكائنات العليا التي تدير امور البشر وهنا جراثيم السحر والدين . والانسان ابن العادة والاعمال التي يعتادها يألفها ويتوارثها اولادهُ من بعدهِ و يصيرون يفعلونها لانها مأخوذة عنهُ بالارث من غير ان يعرفوا سببها او يبحثوا عنهُ . وتكاثر الرسوم التي من هذا القبيل على مرور الازمان وكلما قلَّ تفكير الناس كثرت اوهامهم ورسومهم . والانسان يعمل هذه الاعمال لانهُ مدفوع لعمل وبعض اعماله سحري وبعضها ديني اما هو فلا يميز بينها بل يستعملها كلها على حدٍّ سوى ويستعمل الرسم الواحد في ما نعدهُ سحراً ويستعملهُ ايضاً في ما نعدهُ ديناً . ولا اعرف قبيلة واحدة من القبائل المتوحشة وشعائرها خالية من كل فكر ديني . وقد ادَّعى بعض السيَّاح انهم التقوا بأقوام لا دين لهم على الاطلاق ولكن وُجد لدى البحث والاستقصاء ان اولئك السيَّاح لم يدققوا في البحث او عنوا بالدين معنىً اضيق من معناهُ الحقيقي . وتدلُّ الدلائل على ان الاعمال السحرية ارتقت قبل الاعمال التي ندعوها دينيَّة ولذلك يصح القول ان السحر سبق الدين عند بعض القبائل لا لان مبادئ الدين الاولية لم تكن موجودة عندهم بل لان السحر كان متغلباً عليها فاختفت معهُ

هذا ولنعُد الى قول القائلين ان الاعتقاد بوجود كائن فوق الكائنات نبيًّا موجود في الفطرة فان هذا الاعتقاد يمكن تعليلهُ بان الناس وهم على الفطرة كانوا يشعرون بوجود القوى حولهم فاستعظموا قوةً منها وزاد شأنها في عيونهم على توالي الازمان فهابوها ورووا عنها

الروايات الغريبة ونسبوا اليها ما استعظموهُ من الحوادث الطبيعيَّة وما تعذر عليهم تعليلهُ منها وخصوا بها رسومهم وشعائرهم . ولكن المعلومات التي لدينا الآن لا تكفي لنحكم بان كل الناس جروا هذا المجرى او جروا عليهِ دائمًا

ثم اعتذر الخطيب عن تعرُّضهِ لهذا الموضوع بانهُ رأى قوَّة الادلة التي اقامها بعض العلماء الذين طرقوا هذا الموضوع من جهات مختلفة تخطر لهُ ان يأتي بشيء يحسبهُ مساعدًا على تفسير بعض ما فيهِ من المشاكل وذلك بتبيينهِ الى اين تتجه الاقوال التي قيلت فيهِ والنتائج التي وصلت اليها

## تجارة مصر منذ مئة عام

تجارة مصر مع تونس والجزائر وطرابلس الغرب ومراكش

الواردات — يستورد القطر المصري بحرًا من هذه البلدان زيت الزيتون والطربوش والشال الصوف الابيض والشبشب والبرنس والعسل والشمع والسمن . فيدخلهُ سنويًّا من الزيت خمس مئة الى الف جرَّة تزن الواحدة بين اربع مئة وخمس مئة رطل . وثمن القنطار (١٥٠ رطلاً) بين ٤٥ و ٦٠ فرنكًا

ومن الطربوش ٣٠٠ صندوق في كلٍّ منها ٥٠ الى ١٠٠ دستة . وثمن الدستة بين ٣٠ و ٧٥ فرنكًا تبعًا لنوع الطربوش

ومن الشال الصوف للاحتمام بهِ ٣٠ او ٤٠ بالة في كلٍّ منها من ٢٠٠ الى ٤٠٠ شال . وثمن الواحد منهُ ١٢ فرنكًا

ومن الشبشب نحو ٣٠ الف زوج ترد من مراكش والجزائر وطرابلس الغرب وتونس .

ومن البرنس ثلاثة آلاف او اربعة آلاف بعضها صوف وثمن الواحد بين ٦ فرنكات و ٣٠ فرنكًا والبعض الاخر حرير محوك في الجزائر وثمن الواحد منهُ بين ٦٠ فرنكًا و ٣٠٠ فرنك

ومن العسل خمسة آلاف او ستة آلاف وطب في كلٍّ منها ٤٠ او ٥٠ اقة . وثمن الاقة نحو فرنك

ومن الشمع اربعة آلاف اقة . وثمن الاقة بين ١٥ و ٣٠ قرشًا

ومن السمن الف جرَّة في كلٍّ منها ٣٠٠ الى ٣٥٠ رطلاً . وثمن القنطار نحو مئة واربعين قرشًا